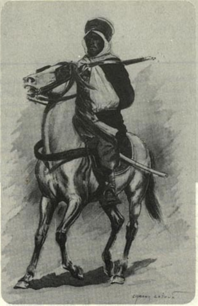

● ساهم الجواد حتى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) بدور شاق في المعارك • وان كان هذا الدور يكاد يتقلص رويدا رويدا ، بل يوشك على أن يتلاشى قبالة مستحدثات الحروب الفتاكة •• كان العمود الفقري للجيش ، فاستخدم منذ القدم على أساليب شتى •• سواء في نقل الفرسان ، أو حمل الأثقال ، أو جر السلاح والمعدات •

وليس من اليسير الحكم بأي أنواع الجياد ، استؤنس أولا ـ جياد وسط آسيا ـ أو جياد شبه الجزيرة العربية أم الهند ، أو جياد افريقيا (١) بيد أن الشيء الذي يستحق التنويه هو أن الجواد العربي يختلف عن بقية الجياد في أن عموده الفقري

الخيل في السلم والحرب عند العرب

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي

ثلاثة وعشرون فقرة بينما نجد في باقي أنواع الخيل أربعة وعشرين ، ولا مراء ــ ان هذا الخلاف الواضح يرضي الذين يقولون بأن الجواد العربي أصل قائم بذاته لا يرجع الى غيره من أنواع الخيل · ولم يكن العرب في جاهليتهم يصونون شيئا من أموالهم ، صيانتها وحفاظها على الخيل ، وظل حب العرب للخيل متاصلا في قلوبهم من الجاهلية حتى جاء الاسلام وبعث الله نبيه الكريم (صلعم) ، فامره باتخاذ الخيل وارتباطها ، لما جاء في كتابه المنزل « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون ، عدو الله وعدوكم » ، فاتخذها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وحض المسلمين على ارتباطها (٢) ·

● ومن الحقائق التاريخية أنه لا يوجد قائد ما قد رضي بأن يستخدم فرسانه خيولا ليست من نتاج جيد ، لأن حياة الجنود تتوقف على امتطائهم صهوة جياد أحسن وأفضل من تلك التي يمتطيها خصومهم • ومن أجل ذلك طفقت الشعوب تعمل على تحسين نتاج الخيل عندما بدأت تشن الحرب على بعضها البعض ، وان هذه الرغبة في سبيل الحصول على خيول كريمة صالحة من جميع الوجوه ، قد استمرت متواصلة الحلقات منذ التاريخ القديم حتى العصر الحديث • ونجد في جل السجلات المسطورة التي وصلتنا عن اختبارات « القوة والسرعة والخفة » ـ نجد أن هذه الاختبارات قد أرغمت الفرسان : سواء أكانوا ـ هنودا ، أم تتارا ، أم تركا أم فرسا أم عربا أم من فرسان المماليك المصريين ـ ان يدربوا نفسهم وجيادهم للاشتراك في هذه المنافسات والتدريبات المتواصلة العنيفة التي لعبت دورا هاما في سيادة الشعوب بعضها على بعض !

● ولا يتهيأ لنا أن نحدد بوجه الدقة متى استهل تطور استخدام الخيل في القتال • ولكن يلوح أن معظم المؤرخين يقبلون الرأي القائل بأن الجواد قد استخدم في جر العجلات ، وكانت هذه العجلات الصغيرة الخفيفة سواء أكانت آشورية أم بابلية أم حيثية ، اما أن يجرها جواد واحد أو زوج من الجياد • وقد تبع هذا أن امتطى الفرسان الخيل في الحرب بدلا من أن يركبوا العجلات ولا مرية في أن هذا قد جاء عندما طالت المسافة ، وانتقلت الحرب الى جهات بعيدة •

وكان الحيثيون الذين عاشوا في آسيا الصغرى لعشرين قرنا قبل الميلاد من بين أوائل سادة الفرسان وركاب الخيل وقد استخدموا في عجلاتهم القتالية نوعا من الحصان العربي • ومن المؤكد ان المصريين القدامى أفادوا من استخدامهم الحصان العربي الليبي في انتصارهم على الهكسوس (بالرغم عن أن هؤلاء هم الذين أدخلوا الجواد الى مصر) وقد نستطيع القول بأن معظم الغزوات المصرية في أيام الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة (١٥٧٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م) ترجع مباشرة الى استخدام الجواد الى العجلة القتالية التي يجرها هذا الجواد •

● ومن هنا يمكن القول بكل ثقة ، أن الخيل غيرت من سير التاريخ العالمي ، تماما كما غير كشف الحديد بين المعادن في صناعة السلاح الجيد ، وكما كشف العرب ـ البارود في القرن الثالث عشر ، وأخيرا جدا كما كشف الغرب ـ القنبلة الذرية ••• وفي مسيرة تكامل القصة ، يمكن القول أن الحرب كانت العامل الأساسي

الذي استحث الشعوب الناهضة القوية ، بل ودفعها دفعا في تيار العناية بانتاج نوع كريم من الخيل للاضطلاع بهذا الغرض وهو استخدامها للحرب، كما أتيح للمقدونيين تحت قيادة اسكندر الأكبر في تاسيس امبراطوريته الفتية ، وكما أتيح للعرب بعد الاسلام تحقيق تلك الفتوح العربية في القرنين السابع والثامن (م) التي ليس لها شبيه بين فتوح أخرى ٠٠

● واذا اصطحبنا الجواد في جبهات القتال مع تتابع العصور ، نجد انه قد سجل تاريخا حافلا قل أن حظيت به دابة ما ٠٠٠ فمن الاسماء اللامعة في التاريخ اسم الجواد بوسيفالوس (Bucephalus) حصان اسكندر الأكبر وهو حصان جميل المنظر أسود اللون بغرة بيضاء من نتاج اقليم تساليا ، ولكن لا شك في أن فيه بعض الدم العربي الليبي ٠ وعندما جيء بهذا الجواد الى فيليب الثاني والد اسكندر ليبتاعه ، كان هذا الجواد في الحظائر الملكية ، وكان اسكندر آنذاك في الثانية عشرة من عمره ، وقد أصر على ركوب هذا الجواد وعندما امتطى ظهره أدرك أنه يخاف من ظله، ولهذا فقد كان لا يواجه به الشمس، واستمر اسكندر يمتطي ظهره حتى اكتسب ثقته ، ونشات بين الجواد وفارسه صلات مكنت من أن تبدد مخاوف الجواد من كل شيء ٠٠ وظل هذا القائد الشاب الفذ يمتطي جواده « بوسيفالوس » في جميع حملاته الشرقية حتى وصل الى الهند ٠٠٠

● ولا نستطيع في هذا المجال أن نصطحب القارىء الكريم عبر قصة الجواد في ميادين الوغى مع جميع الشعوب التي استخدمته حتى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) ٠٠٠ وكانت عمليات غزة الاولى والثانية عبر صحراء سيناء تحت قيادة البريطانيين ضد الأتراك في فلسطين في المرحلة الاولى من حملة فلسطين (١٩١٥ / ١٩١٦ م) ثم عمليات المطاردة بعد معركة مجد وهي الدافع لضرورة احلال قوات أكثر جرأة وأطول مدى للعمل مكان الفرسان أو الخيالة ٠٠٠ فكانت السيارا تالخفيفة ثم الدبابات البدائية ـ التي أخذت تتطور وتتطور فيما بين الحربين العالميتين ، ثم وصلت الى ذروتها فيما بين عامي ١٩٣٩ م في شمال افريقيا وأخيرا في معركة العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ وتعرفت بمعركة العبور العظمى التي قضت الى حد كبير على كبرياء اسرائيل ٠٠

الجياد عند العرب

● زادت عناية العرب بالجياد بعد الاسلام ، فكانت لها المكانة المرموقة في نفوسهم لا سيما المجاهدين منهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحض المسلمين على تربية الخيل والعناية بها ، وأحاديثه الشريفة التي خص الخيل فيها كثيرة ، ومن هذه قوله : « الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » •

« من هم أن يرتبط فرسا في سبيل الله بنية صادقة أعطي أجر شهيد » •

كما اشتهر العرب أيضا بحفظ أسماء الخيل وأنسابها وصفاتها ومعرفة أمراضها وعلاجها وقد بلغت دراسة الخيل عندهم من الرقي ما يكاد يجعلها علما مستقلا • فوضعت في الخيل بضع رسائل تصف أنواعها وأعضاءها وألوانها وتبين خصالها المحمودة والمذمومة وسيجيء الكلام عن أهم هذه المؤلفات في حواشي المقال •

أسماء خيول رسول الله صلى الله عليه وسلم

● أول فرس ملكه رسول الله (صلعم) ، فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة اسمه « السكب » ، ابتاعه بعشر أواق (٣) ، فكان أول ما غزا عليه أحدا ، ليس مع المسلمين فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نيار يقال له « ملاوح » وكان السكب كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى ، وقيل : انه أدهم • رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤) • ومن أفراس النبي : « المرتجز » وقد سمي هكذا لحسن صهيله ، ومنها « البحر » وهو الذي سبق الخيل لما سابق به رسول الله (صلعم) ، فسماه البحر في ذلك اليوم وكان قد اشتراه من تجار قدموا من اليمن ، فسبق عليه مرات • ومن أفراسه أيضا « السبحة » وكانت فرسا شقراء ابتاعها النبي صلى الله عليه وسلم من اعرابي من جهينة بعشر من الابل وسابق عليها يوم خميس ومد الحبل بيده ثم خلى عنها وسبح عليها ، فاقبلت الشقراء حتى أخذ صاحبها العالم وهي تنبر في وجوه الخيل ، فسميت سبحة • ومن أفراسه « ذو اللمة » ، وذو العقال ، وذو اللحيف ، وقيل اللخيف بالخاء ، أهداه له فروة بن عمرو (٥) من أرض البلقاء ، وقيل : أهداه له ابن ابي البراء وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في مذاهبه ، وسمي اللحيف لطول ذنبه •

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ، فرس يقال له « اللزاز » ، وآخر يقال له « الظرب » ، فأما لزاز فأهداه له المقوقس ، وأما الظرب ، فقد روى ابن مندة من حديث عبد المهيمن ابن عباس بن سهل عن أبيه أن الذي أهداه للنبي الكريم فروة بن عمرو الجذامي الذي سبق ذكر اسمه • وأهدى تميم الداري لرسول الله (صلعم) فرسا يقال له « الورد » فأعطاه عمر ، فحمل عليه عمر رضي الله عنه في سبيل الله •

وذكر علي بن محمد بن حنين (٦) بن عبدوس الكوفي في أسماء خيل النبي صلى الله عليه وسلم قال : وكانت له أربعة أفراس ، احداها يقال له « السكب » و «المرتجز» ، و «السجل» ، و «البحر» • هذا وقد ذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل ، أسماءا أخرى منها «اليعسوب» و « الملاوح » •

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسعة عشر فرسا وهي :

« السكب » و « المرتجز » و « البحر » و « سبحة »و «ذو اللمة» و «ذو العقال» ، و « اللحيف » ، وقيل فيه بالخاء المعجمة ، وقيل « النحيف » بالنون ـ و « اللزاز » و « الظرب » و « الورد » و « السجل » و « الشحاء » (٧) ، و « السرحان » ، و « المرتجل »، و « الأدهم »، و « ملاوح » و « اليعسوب »، و « اليعبوب » ، و « المرواح » وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر فتكون ثمانية عشر فرسا • والله أعلم •

بعض أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب (٨)

● ومن أشهر جياد العرب « زاد الركب » (٩) وكان من خيل سليمان بن داود عليه السلام ، التي بلغ عددها ألف فرس ورثها عن أبيه ، فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس ، فردها وعرقبها الا أفراسا لم تعرض عليه ، فوفد عليه قوم من الأزد ، وكانوا أصهاره ، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبي الله ، ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال : واذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا ، فانكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم الطعام ، فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص فلا يفلت

شيء تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمار ، الى أن قدموا بلادهم ، فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم الا « زاد الركب » فسموه به ·

ومن خيل العرب المشهورة : « أعوج » وكان أولا لكندة ، ثم أخذته سليم وصار لبني عامر ثم لبني هلال · ومنها « لاحق » لبني أسد ، و « قيد » و « حلاب » لبني تغلب ، و « الصيرع » لبني نهشل وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، و « جلوى » لبني ثعلبة ، و « ذو العقال » لبني رياح ، وكان داحس والغبراء لبني زهير ، و « حذفة » لغالد بن جعفر ، و « حذفة » آخر لصخر بن عمر بن الشريد و «الشقراء» لزهير بن المنذر ، و « كامل » فرس زيد الخيل وغيرها ·

وقال ابن دريد (١٠) : القطيب والبطين فرسان كانا للعرب ، واللعاب والعبابة رفسا حرى بن ضمرة · والمدعاس فرس النواس عامر المجاشفي · وحافل فرس مشهور والعسجدي لبني أسد ، والصنيف لبني تغلب · والعلهان فرس ابي مليل عبدالله بن الحارث اليربوعي (١١) ·

● وتناول هذه الخيول بالحصر شيء غير مجد ، فان ما أوردناه هو مجرد أمثلة · فقد اقتدى العرب بالنبي الكريم يقتنون الخيول ، لشدة حاجتهم اليها ·· والنبي صلوات الله عليه كفارس أدرك مدى حاجته اليها وكجندي يعني تماما قيمتها في المعارك ، ولذلك لم يكن بدعا حين نراه يتخير أصائلها ويوليها ما تستأهل من عناية، فيقابلنا في ساحته طائفة طيبة من الخيول ابتاع بعضها ، وأهدي اليه البعض الآخر ·

الجواد في الأدب العربي

● لذلك أفرد العرب للجواد ، في صحائف نثرهم وقصائد شعرهم مكانا فسيحا لم يفرد لدابة من الدواب · فالى دواوين الشعر نتصفحها وكتب التراث الأدبي نراجعها ·· نلقاها حافلة بالحديث عن الخيل حديثا متشعب الأطراف يتسم بالاسهاب يتناول وصف أعضائها وألوانها وشياتها وغررها وتحجيلها بل وعيوبها أيضا، وأسماء أصحابها ·· فكم أشادوا بمآثرها ، وكم فاخروا بأنبائها في ندواتهم وغزواتهم حتى طغت أحيانا على أحاديث فرسانهم ·· فلنتناول بعض الأمثلة ··· ولننصت الى امرىء القيس (١٢) في معلقته :

وقد اغتدى ، والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذيل جياش ، كأن اهتزامه
اذا جاش فيه حميه غلى مرجل

واذا ندع هذه المعلقة ، نلقى عمرو بن كلثوم (١٣) يردد في معلقته التي مطلعها :

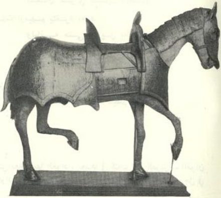

درع مدرع ومكفت بالنقوش الذهبية للأرشيدوق ألبرت حاكم هولندا (١٥٩٨ - ١٦٢١) في المتحف التاريخي بورت دي هال ببروكسل (بلجيكا) .

ألا هبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا (١٤)

★★★

تركنا الخيل عاكفة عليه
مقلدة أعنتها صفونا (١٥)

★★★

الى أن ينتهي عمرو بن نظمه الرصين ، ونمضي الى عنترة بن عمرو بن شداد العبسي نسمعه يترنم قائلا :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم
ما زلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم

★★★

والخيل تقتحم الغبار عوابسا
من بين شيظمة وأجرد شيظم (١٦)

في القرآن الكريم

● ومثل تلك العناية التي يحظى بها الجواد ، نجدها في كتاب الله العزيز ـ القرآن الكريم ·· فتقرأ عن الجواد والخيل في أكثر من آية ، أوليس هو القائل عز وجل في سياق الآية الكريمة :

جواد الأمبراطور فردريك الأكبر في المتحف العربي ببرلين .

« والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود » .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وهناك آيات وآيات ، بعضها مفصلة وبعضها موجزة تتناول الجواد بما لم يتناوله شاعر أو ناثر . واذا كان الله قد أشاد بالخيل في كتابه المنزل وخلع عليها من الميزات ما لم يتوافر لسواها ، فكان حقا وصدقا على النبي الكريم رسوله أن يتكلم فيها ، فيقول :

« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة » .

ووجه الله أنظار المسلمين الى أن يقتنوا الخيل فقال :

« ما من رجل مسلم الا حق عليه أن يرتبط فرسا اذا أطاق ذلك » ٠ وفي التاهب للقتال رسم لأتباعه الصواب :

« اذا أردت أن تغزو فاشتري فرسا أدهم محجلا مطلق اليمنى فانك تغنم وتسلم » (الدمياطي في كتاب الخيل) ٠٠٠

والى اليوم ورغم تطور الزمن ، لا يزال للجواد حظوته لدى العرب بل ومكانته ، وان كنا لا ننكر أنها ليست المكانة الأولى ، أي مكانته منذ الفتوح العربية الأولى ٠٠

الفتوح العربية والخيل

● صحيح أن قوة الدين الاسلامي كانت أهم عوامل نصر العرب في فتوحهم ، لما يحتويه القرآن الكريم من التعاليم السامية والمبادىء القويمة ما فيه الكفاية لخلق المواطن الصالح بصفة عامة ، والمقاتل المجاهد بصفة خاصة ٠٠ أوليس القرآن الكريم يفرض الجهاد على المسلم ـ في سبيل الله ، والتضحية بالروح للذود عن الوطن ٠٠٠

وقد ساعد العرب في فتوحهم التي ليس لها نظير ، أمور أخرى كثيرة ، أهمها أسلوبهم الحربي الصحراوي الذي انسجم مع طبيعة بيئتهم ، فقد كانوا أقدر من عدوهم على الحركة السريعة ، كما كانوا أنشط منه فرسانا وأشدهم مراسا على ركوب الخيل ، ولم يتقن البيزنطيون الفروسية ولم يبرعوا فيها ، وانما كان محط قوتهم الحربية على كتائب المشاة والرماة ، أما العرب فامتازوا عنهم باستخدام الخيل لأنها مكنت لهم التنقل السريع وباستعمال الجمال للأحمال الثقيلة والعتاد ٠ فالخيل والجمال كانت من أهم عوامل النصر العربية ، وكان لها ما للسيارات والدبابات في الحرب الحديثة ٠

الخيل والفروسية في عصر المماليك في مصر الاسلامية

● ظلت الجياد أهم وسائل الحروب طيلة العصور الوسطى الاسلامية حتى انتهاء القرن التاسع عشر ٠ فلم تخل منها جبهة من جبهات القتال ، في الشرق أو في الغرب

لا سيما عند سلاطين أسرتي المماليك المصرية البحرية والشراكسة (١٢٥٠ ـ ١٥١٧) الذين اصطدموا في معارك شتى ضد التتار وضد الصليبيين الغزاة ، وضد الاتراك٠٠ والتركمان وغيرهم ٠٠ ويدلنا على تلك العناية بالجياد ما كتبه عنها المؤلفون المتخصصون في فن الفروسية وفي الخيل والبيطرة (١٧) ٠

كان القتال عند هؤلاء المماليك يعتمد على الفارس والفرس والفروسية ٠٠ ثلاثة عناصر لا غنى عنا للجهاد الحق ، ويتوقف عليها تدريبات الجيوش المملوكية ٠٠ لذلك عنيت الدولة المملوكية بتربية الخيول تربية متكاملة من حيث بناء الاصطبلات الصحية وتقديم الغذاء المفيد والعناية بالعلاج الصالح ٠٠ وتربية الفارس المملوكي منذ التحاقه صبيا بالجيش المملوكي ، فيحفظ القرآن الكريم ويتلقى علوم الدين الحنيف على أيدي علماء صادقين ، ويتدرب على فنون الفروسية منذ نشأته حتى يتآلف مع الجواد وتنسجم صفاته وفضائله مع مزايا الجواد أثناء التدريب في أيام السلم وساعات الاقتتال زمن الحرب ـ كان الفارس الشاب يجيد الركوب اجادة تامة أحيانا كما يحسن استخدام الرماح والسيف والقوس ويتدرب على السيرطة على جواده في جميع أحوال القتال العاصفة ٠ كما يلم الماما صحيحا باستخدام اللجم والمقاود واللواوين والقلائد والسروج والعبي والكنابيش والمذبات وبراقع الخيل ، ويعرف حق المعرفة ـ « الداغات » أي العلامات التي تدمغ بها الخيل عن طريق الكي٠

● وكان للسلطان وعند الأمراء « ركاب خانة » وهي المرفق الذي يضم كل ما يحتاج اليه السلطان أو الأمير من الخيل وأدواتها وأعلافها وأدويتها وشون الغلال ، فقد كان للاصطبلات السلطانية ديوان يشرف على ادارتها وللاصطبل السلطاني موظف كبير يسمى « أمير آخور » وهو المتولي لأمر الخيل والجمال وغيرها مما هو في داخل الاصطبل ، وكثيرا ما كان يقصده السلطان للوقوف على سير الاعمال فيه ، والى جانب هذا الموظف الكبير « أمير آخور » طائفة من أرباب الوظائف يساعدونه في تنفيذ الأعمال الكثيرة ـ كالناظر والكتاب لضبط أسماء الخيل وأوقات جلبها وأسماء أربابها ومبلغ أثمانها ومعرفة سواسها ـ ويحتاج السائس في عمله أن يكون عارفا بصفة الدواب ومعرفة أوجاعها وأمراضها وما يوافقها من الأدوية والدهونات ٠٠

● وكانت هناك أسواق الخيل التي زخرت بها القاهرة ، وكان أهمها سوق الخيل في الرميلة تحت ساحة قلعة الجبل (صلاح الدين) ، وكان البيع في تلك الاسواق يتم بواسطة المنادي والدلال ٠٠

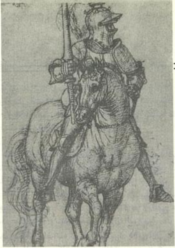

الفارس المدرع
على ظهر جواده من
ريشة الفنان الايطالي
الشهير ليوناردو
دافينشي ٠

ولا شك أنه كانت هناك ترتيبات وتنظيمات وتشكيلات حربية يراعى تنفيذها بدقة في كل حالة من أحوال القتال ـ في السير ـ وفي الدفاع ـ وفي الهجوم البطيء ـ وفي الاقتحام ٠٠ وفي المواجهة ـ وعلى الجناحين ٠٠ الخ ٠ ولكل تشكيل اسم خاص، منها : النوبة والطليعة والسرية والكمين ، والدراجة والنظارة ٠٠ بالاضافة الى ترتيب الخيل في المواكب السلطانية وموكب العيدين والميادين ومواكب الكرة ، ووفاء النيل ، ودوران المحمل ، وموكب الصيد ، والأسفار ٠٠ وغيرها ٠

الفرسان والأسلحة النارية

● كان لكشف العرب عن البارود في نهاية القرن الثالث عشر ، ثم بداية استخدام الأسلحة النارية بأساليب بدائية ، فاستخدام العثمانيين وبعض دول غرب أوروبا مدفعية الحصار في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ـ أن حدث تطور رائع في صناعة الأسلحة النارية في القرون السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، ليس هنا مجال ذكره ٠ ومع ذلك فكان استخدام الفرسان في القتال أمرا ممكنا وفي أحوال معينة ٠ بيد أنه بمجيء القرن التاسع عشر أصبح تأثير هذه الأسلحة النارية هائلا على قوات الخيالة ٠ وبات من الضروري أن تتبع في تشكيلها وتنظيمها ومن ثم استخدامها ، بل وفي تحديد أغراضها وواجباتها صورة أخرى تجعلها بعيدة عن أرض

المعركة عندما تتلاحم المشاة في القتال بالاسلحة البيضاء بعد أن تكون مدفعية الخصمين قد أدت واجباتها الرئيسية ٠

ومنذ ذلك اليوم ـ في منتصف القرن التاسع عشر طفقت قوات الفرسان تنهض بالمناوشات الأولى للاستطلاع والاستكشاف ٠٠٠ ولابقاء الأمن والرقابة والاتصال ٠٠ فاذا تدخلت المشاة خرجت الخيالة من جبهة القتال للعمل على الأجناب أو للبقاء كاحتياط خفيف الحركة في يد القائد يزج به الى المعركة في أحرج لحظاتها ، فاذا انتهت المعركة تمكن أن ينتفع بالفرسان لمطاردة الخصم واجباره على التفكك والهزيمة ٠٠

● كانت هذه الصورة هي آخر ما وصلت اليه الجيوش في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) في بعض الجبهات القليلة ٠ كجبهات القوقاز ، والعراق ، وفلسطين ضد الاتراك ٠ ولكن لم تكد تنتهي هذه الحرب الضروس حتى كانت تجربة الدبابات والسيارات المصفحة قد آتت ثمارها ٠٠ ودخلت الحرب طورا جديدا تدعمه المدرعات والدبابات والطائرات ٠٠ مما أجبر الفرسان على الانسحاب ٠٠ وأخذ عدد الخيل يتناقص في الجيوش ـ باستثناء بعضها نظرا للأحوال الطبيعية عندما توجد الغابات مثلا ٠٠ أو لأعمال الحراسة بقصد الأبهة أو في الفرق الموسيقية الراكبة ، واقتصر الأمر على استخدام الخيل في الألعاب الرياضية ، ومن أجل ذلك أنشئت نوادي الفروسية في سائر البلاد ، ومنها البلدان العربية لتجميع أصائل الجياد العربية وتربيتها وتنسيلها ورعايتها ٠

● وينسب للكونت دي بوفون وهو من أكبر علماء الحيوان قوله : « ان أعظم انتصار للانسان هو ترويض الجواد واستئناسه » ـ أصبح للحصان فضل كبير على الانسان ـ كان طعامه ثم سلاحه الممتاز في ساحات الوغى ـ فقد خلد الفنان ـ الجواد في لوحاته وفي تماثيله ، وما زالت مخططات « ليوناردو دافينشي » عن الحصان محفوظة في المتاحف ـ وما زلنا نشاهد تماثيل العظماء الذين يمتطون الجياد في ميادين معظم المدن ٠ وهل تعرف أن مصل التيتانوس لا يستخرج الا من دم جواد لقح بالمرض ـ وينزف دمه ويقدمه لنجدة البشر ٠٠٠

دكتور عبد الرحمن زكي

الهوامش والمصادر

(١) لا تتفق المراجع التاريخية على تاريخ نشوء الخيل ، الا أن التنقيبات الأثرية الحديثة أرجعت وجودها الى بضعة آلاف من السنين ولقد تعددت الاقوال عن أصل الجياد .

(٢) زكريا خليل البنا : الخيول العربية ـ قافلة الزيت ـ المجلد ٢٢ ، عدد ١ .

(٣) جمع أوقية وهي أربعون درهما .

(٤) هو الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ المتوفي سنة ٣٦٠ هـ .

(٥) كان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه ثم ضربوا عنقه .

(٦) شرح الزرقاني على المواهب (ج٢ ، ص ٤٦٣ ، طبع بولاق) .

(٧) فضل الخيل للدمياطي ، شرف الدين المصري المتوفي سنة ٧٠٥ هـ ـ المطبعة العلمية ، حلب ، سنة ١٩٣٠ .

(٨) نهاية الأرب في فنون الادب لشهاب الدين أحمد (٦٧٧ ـ ٧٣٣ هـ) ، السفر العاشر ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٣ .

(٩) أنساب الخيل لمحمد بن السائب الكلبي (ص ١٢ طبع بولاق و ص ٤ طبع ليدن بهولندا) .

(١٠) لغوي وشاعر صاحب « المقصورة » وفيها كثير من آداب العرب وأخبارهم (المنجد) .

(١١) أسماء الخيل لابن الاعرابي الكوفي (٧٧٠ ـ ٨٤٨) من أكابر أئمة اللغة ومن مؤلفاته النوادر والانوار . أنظر أسماء الخيل ص ٦٤ و ٦٥ ، طبعة ليدن ١٩٢٨ وتحقيق ليفي دلافيدا .

(١٢) أمرؤ القيس بن جعر الكندي أشهر شعراء الجاهلية وأحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها وله ديوان شعر مشروح مطبوع ـ منه هذه القصيدة اللامية وهي واحدة من القصائد العشرة الشهيرة بالمعلقات .

(١٣) عمرو بن كلثوم بن مالك سيد تغلب وفارسها وأحد شعرائهم المشتهرين قبيل الاسلام .

(١٤) الصحن هو القدح الواسع وأصبحنا أي أسقينا الصبوح ، وهو الشرب في الصباح ، والأندرين قرية جنوبي حلب .

(١٥) أي قتلناه واسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه ، وبقيت خيولنا واقفة عليه صافنة . والصافن : القائم أو الذي يرفع احدى قوائمه لعبا .

(١٦) الخبار : الارض اللينة ـ والشيظم : الطويل ، والأجود القصير الشعر ... وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(١٧) الأقصرائي ، محمد بن عيسى : نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد مقدمة من د. نبيل محمد عبد العزيز الى آداب القاهرة ، سنة ١٩٧٢) . أنظر له أيضا : الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٥ .

ـ بكتوت الرماح (٧١١ هـ / ١٣١١ م) كت)اب الفروسية وعلاج الخيل ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤ م فنو نحربية .

ـ البلقيني ، عمر بن رسلان بن نصر (ت ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) : قطر السيل في أمر الخيل

ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٤ ، فنون حربية .

ـ أبو بكر بن بدر الدين البيطار باصطبل الناصر محمد بن قلاوون . (٧٠٩ هـ ـ ٧٤١ هـ) : كامل الصناعتين في البيطرة والزرطقة ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤ ، فروسية ، (تيمورية) .

ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم ٣٨ فروسية وغيرها .

ـ حسن الرماح ، نجم الدين الأحدب (٦٩٥ هـ ـ ١٢٦٠ م) : الفروسية والمناصب الحربية :